# تدافع القيم الدينية في روايات المنفى, روايات علي بدر اختياراً

أ. د. أحمد حيال جهاد
م. م. زهراء كريم حسن

**الملخص**

ان الوظيفة الايجابية للدين هي التماسك الاجتماعي, لكن عندما يسوء استعمال الدين من قبل المؤسسات والطبقات والقوى المهيمنة في المجتمع من أجل تثبيت شرعيتها وتشجيع الضعفاء والفقراء على تقبل أوضاعهم والاستكانة بدلاً من العمل على تغييرها يبدأ نوع من التمرد يمكننا أن نطلق عليه اسم التمرد الديني, وذلك من خلال رفض الإنسان ولو (نفسياً) للمعتقد الذي اختبر عجزه عن تحقيق طموحاته.

**الكلمات المفتاحية : التدافع الديني , القيم الدينية , الهوية الدينية , المنفى**

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 3, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد ١٤, العدد ٣ / الرقم المعياري ٢٧٠٧-٥٦٧٢

# Defending religious values in exile novels, Ali Badr's novels by choice

Ahmed Hayal Jihad
Zahraa Kareem Hasan

**Abstract**

The positive function of religion is social cohesion, but when religion is misused by institutions, classes, and dominant forces in society in order to establish their legitimacy and encourage the weak and poor to accept their conditions and be content instead of working to change them, a type of rebellion begins that we can call religious rebellion. Through a person's rejection, even (psychologically) of the belief, he experienced his inability to achieve his ambitions.

Keywords: religious strife, religious values, religious identity, exile

القيم الدينية ((سلوك وعمل وواقع حياة, وهي تتجه إلى تكوين الفرد الصالح, فإذا تم ذلك تحقق قيام المجتمع القوي السليم الذي يتعاون أفراده على البر والتقوى, وتستقر فيه دعائم الكفاية والعدل والسلام, والإنسان في حاجة إلى أن يعرف هذه القيم على صورتها الحقيقية حتى يستطيع أن يأخذ بالاتجاه القويم في الحياة, ويتزود من هذه القيم بالطاقات التي تمكنه من إداء رسالته في المجتمع))[١] وهناك من قال أنها ((مجموعة من الأوامر والنواهي التي تجعل سلوك الإنسان متطابقا مع قواعد الشرع الحنيف والتي تشمل عقيدة الإنسان وعبادته ومعاملاته, مع بني جنسه وعلاقته مع الكون الذي يعيش فيه))[٢] فهي مبادئ وقواعد يستمدها الانسان من الشرع لتنظيم أمورهم الحياتية والدينية ومعيار للحكم على الاشياء سلبًا أو إيجابًا فهو –الدين – له الاثر المهم في علاقة الشخص بالمجتمع.

إنَّ الوظيفة الايجابية للدين هي التماسك الاجتماعي, لكن عندما يسوء استعمال الدين من قبل المؤسسات والطبقات والقوى المهيمنة في المجتمع من أجل تثبيت شرعيتها وتشجيع الضعفاء والفقراء على تقبل أوضاعهم والاستكانة بدلاً من العمل على تغييرها[٣] يبدأ نوع من التمرد يمكننا أن نطلق عليه اسم التمرد الديني, وذلك من خلال رفض الإنسان ولو (نفسياً) للمعتقد الذي اختبر عجزه عن تحقيق طموحاته, ويُعد الدين الغشاء الايديولوجي, وهو في الوقت نفسه مرآة يعكس لنا التناقضات الاجتماعية, ومن ثَمَّ يمكن النظر إليه شكلاً تتكشف عبره الصراعات, وتعبر عن نفسها في مجتمع ما وفي لحظة تاريخية محددة[٤].

وممَّا لا شك فيه أنَّ توظيف الدين في العمل الأدبي بصورة عامة والرواية على وجه الخصوص, له أهمية بالغة, بما يزخر به من ثراء وتنوع, فتح أمام جنس الرواية آفاقاً واسعة, بحيث مكَّنها من استيعاب مختلف الآليات والتقانات لخوض هذه التجربة المتسمة بالنضج والابتكار, ورفدها بمادة غنية اشتغل عليها معظم الأدباء, سواء بتوظيف المباشر, النص القرآني واستدعاء قصصه, أو السيرة النبوية الشريفة, وتوظيف بعض الشخصيات الإسلامية, أو التيارات والمذاهب التي عرفت في تاريخ الإسلام ونسبت إليه, أو بعض الرموز الدينية المعاصرة.
ولم يغفل علي بدر هذه القيمة في رواياته بل نجدها متصدرة أغلب أعماله السردية فموقفه من الدين بشكل عام هو موقف متذبذب بين السلب والايجاب إذ نجده في كثير من الاعمال الروائية يقف بالضد من رجال الدين أو من التطرف الديني كما يصوره, وبالتالي انعكست رؤاه الدينية على شخصياته الروائية فكانت تحمل صوته وفكره الرافض, فنجد شخصياته الروائية هي الأخرى تقف الموقف ذاته وبالتالي فأن القيم الدينية تتذبذب بين الثبات والتغير سواء على مستوى المجتمع الروائي أو على بعض الشخصيات الروائية .

فإذا تكلمنا عن هذه القيمة في رواية **(حارس التبغ)** نجد أن الشخصية الرئيسة **(كمال مدحت)** مثالا على هذه القيمة وتذبذبها بين الثبات والتغير ولا يخلو مجتمع الرواية من هذه القيمة فهو – الدين– ((ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة, ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب, بل بما هو كيان مجسد اجتماعياً, ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال, أي من حيث صيرورته نظامًا من الممارسات فضلًا عن كونه نظاما من التصورات , بغض النظر عن طريقة إستيعابه وطرق التعبير عنه من طرف المؤمنين به))[٥] .

وبالعودة إلى **(كمال مدحت)** وقيمه الدينية المتغيرة بتغير هويته كما اوضحنا سابقا هو (مرة يوسف اليهودي, ومرة حيدر سلمان الشيعي, واخرى كمال مدحت السني) ولكل هوية منهن لها قيمها التي يتبعها لتتم له عملية ارتداء القناع الهوياتي المتغير.

فالقيم الدينية التي اتصف بها **(يوسف سامي)** الموسيقي اليهودي وسط عائلة يهودية مثقفة ومحافظة ومنغلقة على ذاتها كما اوضحنا في المبحث الاجتماعي كان لابد من التخلي عنها والتحلي بالقيم الدينية التي تتطلبها هوية (حيدر سلمان الشيعي) **((وقد كتب هذه الرسائل التي تفيض بانسحاره بعمارة المساجد, وبالقبب الزرقاء اللامعة المطلية بالكربلائي وبالمنارات المطلية بالذهب, وبالزخارف الفضية والخشبية والسقوف المزينة بالمرايا, والموجودة حتى في بيوت الميسورين, لكن السؤال الذي حيرني هو هل أصبح حيدر سلمان ومن داخله مسلما حقا؟ .. من الثابت أن طاهرة كانت تتوفر على إيمان أولي بالدين وباستسلام كامل إلى بعض الطقوس الشيعية, ولكن هل كان الدين هو دافعه –اقصد تقمص شخصية حيدر سلمان كاملة))**[٦] في هذا النص نجد تساؤلات يطرحها الراوي حول مدى ارتباط حيدر سلمان بهذه الهوية الدينية وهل اثر به الجو الديني الذي كانت تحيطه به زوجه طاهرة لاسيما وان قيمها الدينية ثابته اتجاه الطقوس الشيعية فهل استطاعت هذه العلاقة بينهما ان تمتد إلى الدين وهل استطاع هو بدوره المحافظة على الذائقة الدينية اليهودية هذا السؤال نجد جوابه بتغيير ميوله الادبية اتجاه الفن والعمارة والمنارات المطلية بالذهب وهي إشارة إلى منارات الائمة المعصومين لدى الشيعة, فهذه الالماحة كفيلة بأخبارنا بتشبع حيدر سلمان بقيم هذا الدين الجديد (الاسلامي الشيعي) ولو ظاهريا وظهر هذا التأثر في فنه وموسيقاه **((لقد شعر حيدر أنه يشعر في خلق شيء محسوس, هذا الشيء له قوة يستمدها من موسيقى الكون, أحس في البداية أنه ينقاد إلى أشياء غير معينة, هي غير ملموسة هذا صحيح, ولكنها محسوسة, ومحسوسة بقوة إنه إيمان دون شك, إيمان كان يشعر به كما لو كان يجمع شتات الأديان في داخله, اليهودية التي عرفها وهو طفل, المسيحية التي تتسرب إليه من خلال الموسيقى الكلاسيكية, والاسلام الذي اصبح يعيش في داخله منذ زواجه من طاهرة))**[٧] إلا أن سلسلة التغيرات الدينية لم تنته بل فرضت عليه الهوية الدينية الثالثة ان يتبع قيمها **((ما ان قرأ اسمه الجديد, ورأى صورته في الجواز, وقرأ تاريخ ميلاده ومكان ميلاده, حتى شعر أن شخصية حيدر سلمان قد ذابت تماما, شعر بغربة كبيرة عنها, كأنها شخصية مفروضة عليه شعر بانتماء أكبر لشخصيته الجديدة .. شخصية كمال مدحت))**[٨] وبالتالي نقض قيم الهوية الشيعية, فلا أثر لقيمها في حياة كمال مدحت فهو عندما يرتدي قناع هوية ما يخلع عنه كل متعلقات الهوية السابقة الثقافية والاجتماعية والدينية فكأننا امام شخصية جديدة ولدت توا.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الموسيقار قد أنجب ثلاث أولاد من صلبه يحملون قيم الهويات الثلاث (مئير يهودي, حسين شيعي, وعمر سني) من زيجاته الثلاثة, وكل واحد منهم يمثل قناعه الديني الذي ارتداه من قبل, ولم يغفل الروائي هذا التطابق الديني بين أولاده وهوياته فجاءت الاسماء متطابقة مع الديانة أو الطائفة فـ ((الاسماء التي

يقوم الكاتب باختيارها ليست مجرد أداة بل اختيار عن قصد وتخطيط مسبق حتى تصلح أن تكون قادرة على حمل المفاهيم الضمنية والاستعارية والكنائية))[٩]

وبالعودة إلى دلالة الاسماء وعلاقتها بالهوية الدينية, نجد اسم (مئير) جاء من التراث اليهودي اطلق على عدة شخصيات مؤثرة في اليهود منهم مئير أمشيل مؤسس سلالة روتشيلد, وكذلك الحاخام كاهاناو وهو من زعماء الصهيونية[١٠]

وحسين جاء من هويته الشيعية (حيدر سلمان) وبالعودة إلى دلالة الاسم تميزت به الطائفة الشيعية إذ يرجع إلى سبط الرسول محمد(ρ) وكذلك الحال مع عمر الذي جاء من هويته السنية كمال مدحت والعائد إلى الخليفة الثاني **((لقد كان كل وجه من هذه الوجوه يطابق هوية من هوياته المفترضة, لقد ادرك ان كل واحد منهم هو إسقاط حاد على ذاته الخاصة, وهو من خلال هذه الشخصيات يكتشف جوابه الأساس عن هويته , كل واحد هو وجه من وجوهه))**[١١]

كل وحد من أولاده كان مشبع بقيم الطائفة أو الديانة التي نشأ بها على عكس والدهم الذي كان يبدل قيمه الدينية حسبما تطلب منه الظروف الاجتماعية والسياسية **((جلس حسين بهدوء وهو يتحدث لوالده بنبرة التاريخ, كان يؤمن أن فلسفة التشيع هي فلسفة التاريخ وهي الحتمية التاريخية ذلك ان الوحي النبوي قد اكتمل مع خاتم الأنبياء, ولكن خاتمة التاريخ لم تحن بعد .. كانت اللهجة الورعة .. واللحية الخفيفة والنظارات السوداء تحجب صورة الابن عن الأب, كان الابن يتحدث عن دين الحكم ودين المحكومين .. العودة للإسلام هي عودة للوعي وهي عودة للوجود فالإمام المنتظر والموعود والمخلص والمصلح هو الغاية والنتيجة معا))**[١٢]

فالابن حسين هنا يتحدث عن المُخلص(υ) الذي تؤمن به الطائفة الشيعية, ويأخذ على عاتقه إكمال ما بدأه النبي فهو ((من ذرية الرسول, ومن نسل الإمام علي وفاطمة (υ) حصرًا , وتحديدًا من ذرية الإمام الحسين (υ) وهو الأمام الثاني عشر في سلسلة الإئمة المعصومين))[١٣] فالقيم الشيعية كانت من الثوابت عند الابن وفي الوقت ذاته كانت طارئة عند الاب بهويته حيدر سلمان.

ولم يقتصر هذا التحول القيمي على الشخصية الرئيسة بل شمل الشخصيات الاخرى منها (باري) ابنة محمد تقي **(( كانت باري تحمل شالًا في حقيبتها ترتديه في الجنوب وتخلعه في الشمال))**[١٤] على الرغم من ان باري نشأت وترعرعت في بيت محافظ على القيم الدينية إلا انها كانت غير ملتزمة بهذه القيم فمن جانب علاقتها الصريحة مع حيدر سلمان دون ان تشعر بالحرج من عائلتها ومن جانب اخر عدم التزامها للحجاب الشرعي فهي ترتدي الشال ليس لأنه حجاب شرعي بل لأنه مفروض على المرأة في مناطق الجنوب كونها هي اقرب إلى المركز الديني وتخلعه في المناطق البعيدة عن هذا المركز.

وهذا الأمر انبعث من تغير القيم الدينية في المجتمع الايراني ((كان حيدر يشعر أن الأمر لم يستمر هكذا في طهران .. هنالك حملات واسعة للانقلاب على الليبرانيين, هنالك حرب خفية ضد الموسيقى والسافرات والسينمات, وقد شهد إحراق بعض السينمات والقضاء على المناقشات الحرة, أو بحث آزادي .. وفي يوم كان واقفا مع باري في شارع ولي العصر.. جذبه شيء اسطوري مفاجئ الى فتاة ترتدي قميصا أزرق وجاكته من الجلد وبنطلونا من الجينز كانت تحمل بيدها صحفا للبيع وقد تجمع حولها مجموعة من الشبان والفتيات وبدأت بينهم مناقشة حرة أو ما يطلق عليها ببحث آزادي ومع ذلك التفت حيدر إلى باري وقال لها ان هذا لن يستمر))[١٥] يظهر لنا الروائي المجتمع الايراني وقد تحول على مختلف الاصعدة الثقافية والادبية من حيث الحروب ضد الادب والموسيقى والفن بصورة عامة والصعيد السياسي من حملات ضد الليبراليين ولم يكن الجانب الديني بمنأى عن هذه التحولات بل لعلها هي الشرارة الاقرب للثورة او المحرك الاول للأصعدة كافة, وصور لنا الراوي صورة المرأة التي ترتدي الجينز بالمنظر الاسطوري وهي اشارة منه ان المجتمع اخذ يمارس سياسة تكميم الافواه ومنع المناقشات الحرة ((كانت هنالك مجاميع من الملتحين القادمين من الريف يحملون الهراوات ليفرقوا مظاهرات اليساريين ولما واجهوا مجموعة من الشباب يفرقونهم بالحجارة, وقد كتب لفريدة (بدأت حملات الميليشيات المرتبطة بالسلطة تطارد النساء في شوارع طهران وخاصة الشمالية, كان منظرا يثير السخط والاستنكار وشباب من حثالة المجتمع, كانوا ملتحين يتراكضون وراء الفتيات والنساء بحجة الحجاب السيء (بد حجاب) كانت هذه الحثالة تدفع النساء وتتهجم عليهن بألفاظ نابية وتحشرهن في سيارة))[١٦] فهذه التحولات الهائلة في المجتمع الايراني نجد اثرها على نفسية حيدر سلمان وقيمه الدينية (الشيعية) فإيمانه بهذه القيم لم تكن نابعة من ذات نفسه بل كانت لأجل اقناع الاخرين بصدق هويته الشيعية وانما هي في الواقع تحولات خانقة له بل هي السبب الرئيس للهجرة من ايران والبحث عن طريقة للعودة الى العراق بهوية اخرى على نقيض هويته الحالية

وعندما ندرس رواية **(لكافرة)** نجد الكثير من الأمثلة على خرق هذه القيمة المهيمنة على تيمة الرواية سواء من قبل الشخصيات الرئيسة أو الثانوية, فمن ينصت لحديث فاطمة يجد أنها استطاعت ان تصنع لنفسها ميزة خاصة بها جعلتها مختلفة عن نساء القرية, فضلًا عن ذلك تختصر تاريخ النساء في هذه البقعة من العالم؛ لأنها تعري ممارسات المجتمع وقيمه الدينية الزائفة وخرقها للقيم هو مواجهة للقمع الذي تعرضت له الانثى في تلك المنطقة وما لاقته من تهميش.

فالرواية كانت صرخة للمرأة وليست فقط تركيبًا لغويًا, بل أخذت على عاتقها تصوير الوضع الاجتماعي الذي تعيشه المرأة وما تخضع له من معايير اجتماعية وسياسية لها أثر في قيمها من حيث الثبات والتغير والبحث عن الخلاص من هذا القمع.

أول انزياح لهذه القيم بدأ من العنوان (الكافرة) وما له من تأثير على العمل الأدبي؛ لأنه –العنوان– ((عنصر مهم كونه مجموع معقّد أحيانًا أو مربك, وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره, ولكنّ مردّه إلى مدى قدرتنا على تحليله وتأويله))[١٧] فدلالة العنوان يحيلنا إلى رواية تعاني من ازمة في القيم الدينية

وبالعودة إلى القيم الدينية في هذه الرواية والتي تعد التيمة الأساس في هذا الرواية بدءً من الشخصية الرئيسة (صوفي/ فاطمة) القيم الدينية عند (فاطمة) كانت متفاوتة وغير ثابته فهي لا تتبع القيم السائدة في بيئتها بل تصطدم بها في اغلب المواقف التي لا تجد لها تفسيرًا لا سيما انها عاشت في بيئة غير صحية اجتماعيا وليس هناك تفسير واضح لما يبدد حيرتها ((**سألت أمي :**

**–"هل الله عادل؟"**

- **"نعم هو عادل"**
- **" هل هو رجل أم امرأة ؟"**
- **"هو روح لا رجل ولا امرأة"**
- **" لماذا نقول هو ولا نقول هي"**
- **" لأنه لا يصح أن نخاطب الله باسم امرأة "**
- **"لماذا ؟"**
- **" لأن المرأة أقل من الرجل"**
- **"أقل بماذا؟"**
- **"أقل بكثير..."**
- **" مثلا أريد أن اعرف بماذا ؟"**
- **"المرأة اقل ذكاءً من الرجل .. الرجل افضل والله خلق الرجل على صورته"**
- **" والمرأة خلقها الله على صورة من ؟"**
- **لم تجبني امي , بل نظرت لي نظرة استغراب , أو نظرة يأس ربما**
- **" هل يرجمون الرجل.."**
- **"لا.."**
- **"لأن المرأة هي التي تغوي الرجل هي التي جعلته يأكل التفاحة ويخرج من الجنة.."**
- **"أنت قلت إنها غبية, كيف استطاعت هذه الغبية أن تخدع الرجل الذكي ؟"**
- **لم تجبني أمي. كان عليَّ أن أجد الجواب وحدي. عليَّ أن أبحث عنه وأصل إليه . غير أني شعرت بعد هذه الحادثة غيري, لم أعد نفس هذه الصبية أبداً))**[١٨] اكتسبت فاطمة قيمها الدينية من بيئتها ومحيط

عائلتها التي كانت هي الاخرى انعكاس للمجتمع رأينا كيف انها تحاور امها لتصل إلى الحقائق التي سببت لها حيرة وفضول للمعرفة لكن جواب الام كان دائما بحاجة الى توضيح وشرح فهي دائما تجيب باقتضاب شديد, ورغم قلة كلامها إلا ان القارئ يلمس مدى تفكيرها وايمانها بمنزلة الرجل وانه أعلى مكانة من المرأة وبالتالي تنقل فكرها وقيمها الى ابنتها ((تحمل المرأة مسؤولية تربية الأطفال في السنوات الأولى, وهي بذلك تبنى القاعدة الأساسية للعقل والشخصية, وهي نصف المجتمع وهي التي تعكس صورته, فإذا كان المجتمع مجتمعًا فاسدًا اتضح ذلك في سلوكها وسلوك أبنائها))[١٩] لذا نشأت فاطمة دون ان تؤمن بأية قيم دينية ايمانا حقيقا عن قناعة تامة إنما جاء بضغط من والديها وخوف والدتها الشديد من تمردها والتالي ستكون نهايتها على يد المسلحين, فما ان توفت والدتها حتى بدأت بوار التمرد على القيم تظهر للعلن ((**أصبحت بعد موتها أكثر حرية, لم أعد أطيق المنزل, كنت أذهب الى السوق كل يم تقريبًا أتسلى بالشباب الذين يلاحقوني, لا ارتدي الخمار كما يجب, أشعر أن كل الرجال كانوا يريدون مضاجعتي, اشعر أني أصبحت سيدة خيالاتهم الاستمنائية**))[٢٠] وهذا ما جعلها تخلع الحجاب عند حصولها على الإقامة لتخلع معها قيمها الدينية المتعلقة بهذا اللباس, وهو ما أباح لها ان تقيم علاقة مع سبعين رجلاً.

ومن المظاهر الاخرى هو ما يفعله الرجال المسلحون من اتخاذ الدين غطاء يمارسون تحته افعالهم الشنيعة ويتخذون من القيم الدينية التي وضعوها وفق اهوائهم ذريعة لمعاقبة الناس ووسيلة لتحقيق مصالحهم ((**منعت الخمرة بعد وصول المتشددين إلا أن هناك شيئا آخر فقد كشئان مسموحا المتاجرة بها كي يحصلوا على أرباح منها, لذلك كان المسلحون يغضون الطرف عنها سرا , فقد قام راضي بالمتاجرة بها مع قرى اخرى, لكنه كان يعطي أغلب الوارد للمسلحين لذا فإنهم سكتوا عنه**))[٢١] مثل المتشددين آلة تدمير للقرية, بنية وشخصية وقيم وذلك بوضعهم قوانين صادرت الحياة وجعلت الناس يعيشون في ظل حرمان شديد لأدنى الحاجات النفسية, وشيوع الإحباط واليأس وتلاشي الامل بالحفاظ على المنظومة القيمية وبالتالي انعدم التفاعل الايجابي بين افراد القرية, وحل محله العلاقات القائمة على المصالح المتبادلة الخوف والرعب بين الافراد واستغل المسلحون هذا الامر ووظفوه لصالحهم في الحصول على الممنوعات وفعل الفواحش تحت غطاء ديني ((**كان يزود بعضهم بالشراب حيث يشربونها سرًا أيضًا ولا سيما حين يعودون ليلاً لمضاجعة السبيات المسكينات, السبيات اللواتي يجلبونهن من القرى القريبة التي يهاجمونها, وهن إما مسيحيات أو أزيديات, أو زوجات مسلمين كانوا يطلقون عليهم بالمرتدين,.. ما أن يرى المسلحون أحدا له زوجة جميلة حتى يتهمونه بالكفر والردة بعدها يتم قتله ومن ثم يستولون على اثاث منزله, ويحملون زوجته إلى المنزل الكبير لينام معها أحد المسلحين ثم يبيعها لآخر, وهذا ما حدث لحامد البقال, لقد تكلم بسوء مرة عن المسلحين لم يكن راضيا عن رجم الفتاة الزانية الكافرة, فجاؤوا في المساء إليه, اتهموه بالردة حملوه إلى الساحة شدوا وثاقه واطلقوا النار عليه. وفي اليوم التالي أخذوا زوجته سبيه, ونام المسلحون معها, اشتروها وباعوها وظلت هكذا بينهم تُباع وتُشترى**))[٢٢]

ومن اللافت للنظر أن الشخصية الرئيسة في رواية (عازف الغيوم) لم تنتقل من قيم ثابتة إلى قيم متغيرة بل كانت انتقالتها من القيد إلى الحرية فالبطل لم يكن يؤمن بأي قيم دينية في بلده إذ لم يغير المنفى من قيمه إنما زاده انطلاقا نحو التحرر, ومن الجدير بالذكر ان الرواية رصدت الخراب القيمي في ظل الحروب والارهاب الثقافي ناقلة للصراع القيمي وتحولات المجتمع وثقافته, وراصده للأزمات النفسية التي خلقتها الاوضاع في البلد عكست لنا واقع المجتمع العراقي وعنفه وحروبه, فأعادت انتاج الاحداث وصوغها بنحو يبعدها عن الواقعية التامة , إذ إنَّ وظيفة الرواية لا تقتصر –كما يُتوهم – على تقديم معلومات أو عرض بيانات أو تسجيل وقائع ((فلو كانت وظيفة العمل الأدبي الرئيسة هي عرض بيانات أو تقديم معلومات لكان أي جهاز تسجيل يعمل في الخفاء في عيادة اخصائي نفسي, أو باحث اجتماعي, أفضل قطعاً من أي عمل أدبي, وذلك لأنَّنا نستطيع بالتأكيد أن نحصل على معلومات وبيانات أكثر ثباتاً وصدقاً من أي بيانات منشورة بين ثنايا أي عمل أدبي, ولو كان الأمر لا يتعلق إلَّا بعرض الواقع الاجتماعي لكانت أية مجموعة من الجرائد أعلى قيمة من كلِّ الروايات التي نشرت في الحقبة نفسها التي صدرت فيها))[٢٣], فموقف الروائي من الواقع ليس موقف المؤرخ, إنَّما هو يصوّر لنا الواقع مضافاً إليه الخيال, معتمدا على فكرة التدوير السردي, ويؤطر النص السردي بهالة من التعبير الشعبي والنمط النفسي العاطفي, مع شحنه بدلالات رمزية تسهم في توسيع أفق الرؤية للقارئ الواعي, وكذلك لا يغفل الجانب الاجتماعي ونقده من خلال وطرح قضايا المجتمع بغية حلها, موظفاً لأجل ذلك التعبير الوصفي وإدارة

الحوار الهادف, ولا يهمل ما للزمان والمكان من دور فاعل في تعيين المعيار الفني وتحديد مسيرة النص ورمزيته.

وبالعودة الى الشخصية الرئيسة (نبيل) الشاب العازف الذي يرغب بالحياة والاستمتاع بملذاتها وسط بيئة مشحونة بالخلافات الطائفية والعرقية وحتى الثقافية, وتبدأ اشكالية نبيل مع مجتمعه وقيمه بصورة عامة في بداية الرواية وباتصاله بولده واخباره بقرار الهجرة الى اوروبا هناك حيث الحياة..(( **– أنت لن تجد أية حياة تحلم بها هناك !**

- **وأين سأجدها.. هنا؟ سأله بنبرة متهكمة**
- **هنا.. أنت تعرف الحال على الأقل .. أنت تعرف جيدا الناس والطبائع واللغة والحياة ..**
- **الحياة ؟**
- **أجل الحياة ..**
- **ماذا تعني الحياة بالنسبة لك ؟ أنا لا أجد أية حياة هنا**

- **ماذا تقصد أنت بأنك لا تجد حياة هنا..**
- **لا استطيع إفهامك .. لكني بدأت اشك بأن لنا المفهوم نفسه للحياة ..**
- **لا أظن أننا سنختلف حتى على تعريف الحياة**
- **نحن نختلف**
- **ماذا تقصد انت؟**
- **أقصد...**
- **لا أقصد أي شيء , أنا راحل هذا اليوم , هذا كل ما في الأمر))**[٢٤]

في هذا الحوار يحاول الاب اقناع ولده بعدم الهجرة إلى بلاد الغربة وتبدأ الاشـــكالية حول مفهوم الحياة بينهما فهي –الحياة – عند الاب متمثلة بمعرفة الناس والعادات والتقاليد واللغة, إما عند نبيل فالحياة عنده متحرره من كل ما ذكر والده, فلا حياة في بلد تطوقه العناصـــر المتشـــددة والعادات البالية المتقشـــفة بالنســـبة له, فلم يطق العيش في مدينة تختلف قيمها الدينية عن قيمه اختلافا جذريا لاســيما بعد ســيطرة المتشــددون عليها, فلم يطق البقاء في المدينة بعد ان فُرض عليه المســـاهمة في بناء جامع في المدينة **(( لو كان المســـلحون أو غيرهم قد طلبوا منه بناء خمارة ســيقدم لهم كل ما له من مال من دون ندم, أما جامع فالأمر بحاجة إلى تفكير ذلك أن جميع الارهابيين قد خرجوا من الجامع, لم يخرج ارهابي واحد ليفجر نفســـه من خمارة, وبالتالي لو قالوا له انهم ينوون بناء خمارة, كي يجلس فيها شـــباب الحي, ويتحدثون فيما بينهم ولن يفكروا بقتل أنفســـهم الاخرين, سيستجيب لهذا الامر عن طيب خاطر, ولكن بناء جامع؟ الامر لا يمكن قبوله ))**[٢٥]

وفي بلجيكا حيث الحياة التي كان يمني النفس بها يصـــادفه رجل **((يرتدي ملابس اشـــبه بالملابس الافغانية, موضة الثوار الجدد, الموديل الذي يتشبه به السلفيون منذ الحرب الافغانية ضد الجيش السوفيتي وشعر أن هذا السيلفي يتعقبه دون ان يلتفت اليه, ولكن ما إن وصل إلى باب منزله قبض عليه بيده , فقال له**

**ألست مسلما؟**

**ارتبك نبيل, وقال بعد تردد**

- **نعم , نعم أنا مسلم**
- **نحن في رمضان يا رجل ! ألا تعرف رمضان؟**
- **نعم! رمضان في بلجيكا ؟**
- **يعني إذا أتيت إلى بلجيكا تتخلى عن إسلامك؟**

**اراد أن يغادر بسرعة, فمسكه الرجل من يده**

**أين؟**

**إلى بيتي!**

**لا .. دقيقة واحدة .. اسمع إنك طالما أخطأت وفي رمضان عليك ان تدفع كفارة ...**
**وبما أنك مسلم, وأفطرت في رمضان, ومن أجل أن يسامحك الله على فعلتك الشريرة هذه عليك أن تدفع مبلغا من المال لبناء الجامع , وعندئذ سيسامحك الله أنا أعطيك ضمانا بذلك))**[٢٦] ان رد فعل نبيل في كلا الموقفين مختلف ففي المرة الأولى في موطنه عندما أُمر بدفع الكفارة لبناء الجامع, اعترض بشدة وقرر الهرب من البلد واللجوء لأوروبا, أما في بلجيكيا عندما طلب منه الرجل أن يدفع الكفارة لبناء الجامع قرر أن لا يدفع بدون خوف أو تردد وهي اشارة إلى أنه وجد الأمان في التعبير عن قراره في بلد الغربة إما في بلده فهو مسلوب الإرادة ولا رأي له سوى التنفيذ, وإلا ستكون العقوبة الموت الحتمي.

وفي مشهد آخر نرى (القيم الدينية) أتخذ منها قناع يرتديه الجماعات المسلحة التي اتخذت من الدين عباءة يختبؤون تحتها؛ ليمرروا بذلك قوانينهم والفتاوى التعسفية التي تلغي الآخر وتمحو هويته **((ما أن أنهى نبيل طبق البيتزا, حتى أدار على قناة إباحية, ليتخلص من ملل الانتظار, فالقنوات الإباحية هي الشيء الوحيد المتاح بهذا البلد, وهنالك دكان في ركن الشارع فيه تقني يمكنه أن يفك تشفير أية قناة بمبلغ من المال, وأكثر رواده من الاسلاميين فقد أصدروا فتوى أن التطلع إلى غير المسلمات حلال))**[٢٧] يكشف النص عن تأثير الحرب في التوجه الديني للمجتمع وكيف استغل الانتهازيين الفرصة ليمرروا مصالحهم تحت غطاء الدين فها هم يحللون ما يرونه مناسبا للذاتهم وغرائزهم, فهو –نبيل– يكشف بأسلوب ساخر موقف الاسلامين من مشاهدة هذه المشاهد الاباحية والقنوات المشفرة والمفارقة الحاصلة أن أغلب رواد محل فك الشفرات هم من الإسلاميين الذين حرموا على عامة الشعب مشاهدة هذا الافلام واصدروا فتوى تناسب غرائزهم أن التطلع إلى غير المسلمات حلال, وهو عنف نفسي يرتكبه الإسلاميين وينتصرون لقيمهم التي اشاعوها.

وهذا ما كشفت عنه رواية **(الكذابون يحصلون على كل شيء)** التي لم يغفل كاتبها تناول القيم الدينية وتسليط الضوء على الجانب السلبي للدين أو بالأحرى تسليط الضوء على الفهم الخاطئ للدين من قبل رجال جعلوا من أنفسهم الواجهة أو الناطق الرسمي باسم الدين وبدل أن يجعلوا من قيم الدين دستورا ينظم الحياة ويلونها بالوان الحياة جعلوا من الدين لون واحد وهو الأسود لا لون غيره فأصبح الدين عندهم وسيلة تبرير لشرعية القتل والسلب والخداع والسرقة وممارسة الفواحش وكل فعل يعتم الوان الحياة, حتى ضاق الناس به واصبحوا يعدونه تهديد وجودي, ولعل السبب الرئيس الذي جعل من هذه القيم تنحدر هو ضعف النظام السياسي بعد (٢٠٠٣) وطغيان المجاميع المقاتلة وغياب القانون والسلطة وبروز الانشقاق الطائفي وهشاشة الدولة بشكل عام التي اتخذ منها **(علي بدر)** الثيمة الاساسية في هذه الرواية وتسليط الضوء على كذبة النخب السياسية وتسليط الضوء على الديناميات المتغيرة بين الطبقة السياسية الحاكمة والشعب.

ومن الأمثلة على شخصيات النخب السياسية التي جعلت القيم الدينية لعبة أقنعة ترتدي الذي يناسب الدور لخداع عامة الناس, **((فبعد الثورات العربية لمع نجم الإسلاميين والكثير من السياسيين السابقين أخذوا يجربون استخدام هذه الوصفة ليجدوا لهم مكاناً في الساحة الجديدة, والضحك مرة أخرى على الناس التي**

**خرجت للشوارع مطالبة بالخبز والعدالة))**[٢٨] ومثالا على ذلك الوزير العربي الذي يسرق مليون دولار من خزينة الدولة والهرب إلى أوروبا, فهو خليط من الاتجاهات **((انه قومي, علماني, وحتى اشتراكي, أما اليوم فهو إسلامي, ذلك أن الوضع العام قد اقتضى ذلك))**[٢٩] فهو يغير توجهه الديني وفق الاتجاه السياسي السائد في البلد فلا قيم دينية ثابته لديه بل هو في حقيقته خليع ماجن إلا أنه صعد إلى الحكم مع صعود الاتجاهات الدينية وظهور سياسيون تبنوا الاتجاهات الطائفية الرائجة ايمانا منهم بضرورة دخول الدين المعترك السياسي**((بغية رفع الحيف وجب المظالم عن الناس من خلال التصدي للحاكم المستبد, لذلك بادروا لإنشاء الأحزاب ذات التوجه الديني لمناوئة السلطة السياسية المستبدة والمشاركة في العملية السياسية وهو توجه تمثله الأحزاب والحركات الإسلامية المعتدلة التي تؤمن بمسألة العمل السياسي السلمي))**[٣٠]

فهذا الوزير الخليع الماجن الذي لا يتورع عن اقامة العلاقات المتعددة مع النساء, يحاول اضفاء الصبغة الدينية على حديثه عندما يتعلق الامر بالمنصب السياسي .

الهوامش

[١] - القيم الدينية والمجتمع , محمد كامل حته, دار المعارف, القاهرة, ط١, ١٩٨٣: ٥.

[2] – القيم الاجتماعية في رواية "المحبوبات" لعالية ممدوح (دراسة سوسيولوجيه أدبية ) , جمادى الاولى , جامعة الرانرى الإسلامية الحكومية, كلية الآداب والعلوم الانسانية, اندونيسيا ,٢٠٢١: ١٩(رسالة ماجستير).

[٣] - ينظر: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع ,الدكتور حليم بركات ,مركز دراسات الوحدة العربية , ط١, بيروت , ٢٠٠٥م: ١٢٨.

[4] - ينظر: عِلم الاجتماع الديني الإشكالات و السياقات, د. سابينو أكوافيفا, د. إنزو باتشي , ترجمة : د. عز الدين عناية, هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث, ط١, ٢٠١١م : ٥٨ .

5 - سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من العولمة إلى الحداثة , عبدالغني عماد , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت –لبنان, ٢٠٠٦: ١٣٨.

[6] - حارس التبغ: ١٧٩.

[7] - حارس التبغ: ٢١١.

[8] - حارس التبغ: ٢٥٢.

[9] – سيميائية الشخصيات في رواية (فرانكشتاين في بغداد) للروائي العراقي احمد سعدون (الشخصيتان هادي العتاك والبشوا نموذجا) , عادل ساكى احمد, د. خضرى علي , مجلة العلوم الانسانية , مجلد (٣٠) عدد(٣) لسنة ٢٠١٩م : ٢٦٠.

[10]- ينظر https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/7/1

[11]- حارس التبغ: ٣٢٨.

[12] - حارس التبغ: ٣٢٧.

[13] - البطل المخلص في الرواية العربية دراسة في الشخصية والمرجعيات وسيمياء الحضور , د. عباس فاضل آل مسافر, دار الشؤون الثقافية , العراق, ط١, ٢٠٢٠م : ٢٨.

[14] - حارس التبغ: ٢٤٤.

[15] - حارس التبغ: ٢٤٤.

[16]- حارس التبغ: ٢٤٥.

[17]- عتبات ( جيرار جينيت من النص الى المناص), عبد الحق بلعابد , الدار العربية للعلوم, منشورات الاختلاف , ط١, ٢٠٠٨م. : ٦٥.

[18] - الكافرة : ٤٨-٤٩

[19]- العنف الجسدي ضد المرأة ومكانتها في المجتمع تحت أضواء السيرة النبوية , مروة شاكر الشربيني, دار الكتاب الحديث , ط١, ٢٠٠٥: ١١٥.

[٢٠]- الكافرة : ١٤٤.

[٢١]- الكافرة : ٩١.

[٢٢]الكافرة : ٩٤.

[٢٣]- التحليل الاجتماعي للأدب, السيد يس, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, د. ط, سنة ١٩٧٠: ٩٣.

[٢٤]- عازف الغيوم : ٦-٧.

[25]- عازف الغيوم : ٣٤.

[26]- عازف الغيوم : ٥٨.

[27] – عازف الغيوم: ١٠ .
[28] - الكذابون يحصلون على كل شيء: ١٥٤.
[٢٩] - الكذابون يحصلون على كل شيء: ١٥٣.
[30] جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم , د. لزهر بوراضي , المجلة العملية لجامعة الجزائر٣, العدد ٩ , ديسمبر ٢٠١٧: ٧.

المصادر


- **الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع ,الدكتور حليم بركات ,مركز دراسات الوحدة العربية , ط١, بيروت , ٢٠٠٥م.**
- **البطل المخلص في الرواية العربية دراسة في الشخصية والمرجعيات وسيمياء الحضور , د. عباس فاضل آل مسافر, دار الشؤون الثقافية , العراق, ط١, ٢٠٢٠م .**
- **التحليل الاجتماعي للأدب, السيد يس, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, د. ط, سنة ١٩٧٠م.**
- **جدلية الدين والسياسة وثنائية التداخل والتصادم , د. لزهر بوراضي , المجلة العملية لجامعة الجزائر٣, العدد ٩ , ديسمبر ٢٠١٧م.**
- حارس التبغ, علي بدر , دار ألكا, بلجيكيا بروكسل, ط٦, ٢٠٠٨م.
- **سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من العولمة إلى الحداثة , عبدالغني عماد , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت –لبنان, ٢٠٠٦م.**

- **سيميائية الشخصيات في رواية (فرانكشتاين في بغداد) للروائي العراقي احمد سعدون (الشخصيتان هادي العتاك واليشوا نموذجا) , عادل ساكى احمد, د. خضرى علي , مجلة العلوم الانسانية , مجلد (٣٠) عدد(٣) لسنة ٢٠١٩م .**
- عازف الغيوم ,علي بدر, الرافدين, لبنان بيروت , ط٢, ٢٠١٧م.
- **عتبات ( جيرار جينيت من النص الى المناص), عبد الحق بلعابد , الدار العربية للعلوم, منشورات الاختلاف , ط١, ٢٠٠٨م.**
- **عِلم الاجتماع الديني الإشكالات و السياقات, د. سابينو أكوافيفا, د. إنزو باتشي , ترجمة : د. عز الدين عناية, هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث, ط١, ٢٠١١م .**
- **العنف الجسدي ضد المرأة ومكانتها في المجتمع تحت أضواء السيرة النبوية , مروة شاكر الشربيني, دار الكتاب الحديث , ط١, ٢٠٠٥م.**
- **القيم الاجتماعية في رواية "المحبوبات" لعالية ممدوح (دراسة سوسيولوجيه أدبية ) , جمادى الاولى , جامعة الرانرى الإسلامية الحكومية, كلية الآداب والعلوم الانسانية, اندونيسيا ,٢٠٢١م.(رسالة ماجستير).**
- **القيم الدينية والمجتمع , محمد كامل حته, دار المعارف, القاهرة, ط١, ١٩٨٣م.**
- الكافرة , علي بدر , دار الكا, بلجيكا / بروكسل, ط٣, ٢٠١٧م
- الكذابون يحصلون على كل شيء , علي بدر , دار الكا , بلجيكيا بروكسل, الرافدين , بيروت لبنان , ط١,